

أنا نفترض أننا نعرف كيف نستخدمه ، وكيف نهمله . ولاشك أن تضاعف صدور كتب النقد ومقالاته ، يمكن أن تخلق ذوقاً سيئاً عن طريق قراءة الأعمال التي تكتب عن الأعمال الفنية ، بدلا من قراءة الأعمال الفنية نفسها ، مما يؤدي إلى إمداد القارئ بالأفكار ، بدلا من تثقيف ذوقه . ولقد لمست بنفسى ذلك كله . إلا أن الحقيقة لا يمكن أن تفسد الذوق ، غير أنها يمكن - في أسوأ الحالات - أن ترضى ذوقاً ( فلنقل ذوقاً نحو التاريخ ، أو الآثار ، أو السير الشخصية ) تحت الإيهام بأنها تساعد آخر . غير أن المفسدين حقاً ، إنما هم أولئك الذين يمدون القارئ بالرأى أو التوهم ، ولا يعنى جوته وكولريديج من ذلك الذنب ، وإلا فما الذى تنطوى عليه مقالة كولريديج عن هاملت ؟ هل تنطوى على بحث صادق ، بقدر ما أتيج لها من مادة بحث ، أو هى مجرد محاولة لإظهار كولريديج فى ثوب جذاب ؟

إننا لم ننجح فى إيجاد وسيلة من وسائل الاختبار والفحص يمكن أن يستخدمها أى إنسان ، وإنما اضطررنا إلى إفساح المجال لعدد لا حصر له من الكتب الغبية المسئمة . ولكننا - على ما أعتقد - توصلنا إلى وسيلة من وسائل الفحص والاختبار ، تتيح للقادرين على تطبيقها استبعاد الوسائل الأخرى التى - هى فى حقيقتها - فاسدة وسيئة . وبوسيلة الاختبار والفحص هذه يمكننا أن نعود إلى العبارة التمهيدية الأولى عن سياسة الأدب والنقد . فبالنسبة لنوعيات العمل النقدى - الذى قرناه - تتأنى إمكانية وجود نشاط تعاونى ، مع إمكانية أبعد للوصول إلى شىء خارج أنفسنا ، شىء يمكن أن نسميه - مؤقتاً - بالحقيقة . ولكن إذا ما اشتكى فرد ما ، بأننى لم أقم بتعريف الصدق ، أو الحقيقة ، أو الواقع فإننى لأستطيع إلا أن أقول - معتذراً - بأن ذلك التعريف لم يكن ضمن ما أهدف إليه ، وإنما كنت أهدف إلى إيجاد خطة يمكن أن تلائم كل هذه الأشياء ، مها كانت . هذا إذا ما كانت موجودة .